تيسير الإله

بشرح أدلة شروط لا إله إلا الله

لفضيلة الشيخ

عبيد بن عبدالله بن سليمان الجابري

- حفظه الله -

اعتنى به :

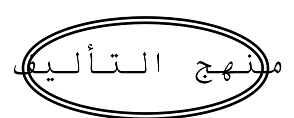
أبو جويرية عفا الله عنه وغفر له ذنبه وستر له عيبه

تيسير الإله بشرح أدلة شروط لا إله إلا الله

لفضيلة الشيخ عبيد بن عبدالله الجابري

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، قيوم السماوات والأراضين وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه الأمين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين .
أما بعد :
فهذا مختصر ضمنته شرحاً لما استدل به إمام الدعوة المباركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله على شروط لا إله إلا الله ، وسميته " **تيسير الإله بشرح أدلة شروط لا إله إلا الله** " .

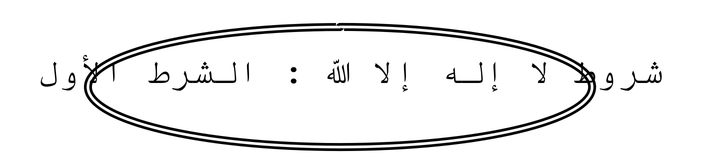


أولاً: قمت بكتابة شروط لا إله إلا الله ، وأتبعت كل شرط بدليله ، مع المحافظة على لفظ المصنف .
ثانياً: عزوت الآيات القرآنية التي استدل بها المصنف إلى مواضعها من السور كما قمت بتخريج أحاديثه.
ثالثاً: تقصدت في شرحي للأدلة النقول عن أهل العلم فجعلتها جُل الشرح **لأسباب كثيرة** منها :

أولاً : إعترافي الصريح لأهل السابقة من علماء الإسلام والأئمة بالفضل الجزيل عليّ يحفزني على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم :(لا يشكر الله من لا يشكر الناس).
ثانياً : الإسهام في دعوة شباب الإسلام المتطلعين إلى سبل الرشاد والإستقامة والمتحمسين لسبل الإصلاح والصلاح إلى أن ينهلوا من كتب علماء الإسلام الذين بنو فقههم على الكتاب والسنـّة وتربوا عليهما ولا يغتروا ببريق الكتب الفكرية المعاصرة ، فإن غالبها مبني على الجهل بحقائق الدين أصولاً وفروعاً .
ثالثاً : لعلي أعطيت دليلاً قاطعاً على أن أئمة الإسلام كشيخ الإسلام ابن تيمية ومن قبله الإمام أحمد ومن جاء بعدهما مثل شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب و العلماء المعاصرين مثل ابن سعدي هم خير من يشرح لا إله إلا الله ، ويعرّفون الناس حقيقتها والعمل بمقتضاها وأن من ادّعى ذلك في أرباب الكتب الفكرية قد أبعد النُجعة وأعظم الفرية ، ووجه سهما من السم بمقالته تلك بالتهوين من شأن أئمة الدعوة السلفية ودعا الأمة عامة والشباب خاصة إلى الإنحراف عن منهج السلف وركوب البدع وما أحسن ما قاله أبو عثمان النيسابوري – رحمه الله – من أمّر السنـّة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة ومن أمّر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة .
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

كتبه :

الفقير إلى الله *عبيد بن عبد الله بن سليمان الجابري* المدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية [سابقا] حرسها الله وبارك فيها وفي مشائخها وعلمائها دعاة الحق على نور من الله وبصيرة .



قال رحمه الله تعالى :[[**شروط لا إله إلا الله]]**

قوله : ((شروط))

جمع شرط والشرط في اللغة العلامة ويجمع على شروط وأشراط والمراد هاهنا ما يتحتم على المكلف معرفته والعمل به حتى يكون موحداً ظاهراً وباطناً.

[[الشرط الأول: العلم بمعناها نفياً واثباتاً .

- **ودليل العلم قوله تعالى : { فاعلم أنه لا إله إلا الله }[1]. وقوله { إلا من شهد بالحق وهم يعلمون }[2]. أي بلا إله إلا الله .**

{ وهم يعلمون } بقلوبهم ما نطقوا به بألسنتهم.

- **ومن السنَّة : الحديث الثابت في الصحيح عن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة) [3].]]**

قوله : ((العلم بمعناها نفياً وإثباتا))

يتضمن شطرها الأول نفي العبادة عما سوى الله عز وجل كما يتضمن شطرها الثاني إثباتها له سبحانه وتعالى ، فكما أن الحق جل علاه لا شريك له في ملكه وخلقه وتدبيره فإنه لا شريك له في عبادته .

وهذا ما بعث الله به النبيين والمرسلين واتفقت عليه دعوتهم قال تعالى : { وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون }[4].

وقال نوح وهود وصالح : { يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره }[5].

وقال تعالى مخبراً عن اتفاق دعوة الأنبياء والمرسلين { ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت }[6] .

وقال عن الخليل عليه الصلاة وسلام { وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون } [7].

وقال تعالى في ما أمر به نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن يبلغه هذه الأمة { وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه } وقال في موضع آخر { واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا }.

---

1) سورة محمد آيـ19ـة .
2) سورة الزخرف آيـ 86 ـة .
3) مسلم كتاب الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً
4) سورة الأنبياء آيـ 25ـة .
5) سورة الأعراف (59) هـود (50 – 61).
6) سورة النحل آيـ 36 ـة .
7) سورة الزخرف آيـ 26 ـة .

فهذه الآيات وما في معناها من الكتاب الكريم صريحة الدلالة على أن الأنبياء والمرسلين جميعاً دعوا قومهم إلى تحقيق معنى لا إله إلا الله أنه لا معبود بحق إلا الله .
قــولــه : { فاعلم أنه لا إله إلا الله } تمامها { واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم } [1].

قال ابن سعدي رحمه الله : " العلم لابد فيه من إقرار القلب ، بمعنى ما طلب منه علمه ، وتمامه ، أن يعمل بمقتضاه . وهذا العلم ، الذي أمر الله به – وهو العلم بتوحيد الله – فرض عين على كل مسلم ، لا يسقط عن أحد ، كائنا من كان ، بل كل مضطر إلى ذلك. والطريق إلى العلم بأنه لا إله إلا الله ، أمور :

أحــدهــما : بل أعظمهما :- تدبير أسمائه وصفاته ، وأفعاله الدالة على كماله ، وعظمته ، وجلاله ، فإنها توجب بذل الجهد في التأله له ، والتعبد للرب الكامل ، الذي له كل حمد ومجد ، وجلال وجمال .
الـثـانـي : العلم بأنه تعالى هو المنفرد بالخلق والتدبير ، فيعلم بذلك أنه المنفرد بالألوهية .
الـثـالث : العلم بأنه المنفرد بالنعم الظاهرة والباطنة ، الدينية والدنيوية . فإن ذلك ، يوجب تعلق القلب به ، ومحبته ، والتأله له وحده لا شريك له.
الـرابــع : ما نراه ونسمعه ، من الثواب لأولوية القائمين بتوحيده ، من النصر ، والنعم العاجلة ، ومن عقوبته لأعدائه المشركين به ، فإن هذا ، داع إلى العلم ، بأنه تعالى وحده ، المستحق للعبادة كلها .
الخامس :معرفة أوصاف الأوثان والأنداد ، التي عبدت مع الله ، واتخذت آلهة ، وأنها ناقصة من جميع الوجوه ، فقيرة بالذات ، لا تملك لنفسها ولا لعابدها ، نفعاً ولا ضراً ، ولا موتاً ، ولا حياةً ، ولا نشوراً ، ولا ينصرون من عبدهم ، ولا ينفعونهم بمثقال ذرة ، من جلب خير ، أو دفع شر ، فإن العلم بذلك ، يوجب العلم ، بأنه لا إله إلا الله ،وبطلان إلهية ما سواه.
الـسـادس : اتفاق كتب الله على ذلك وتواطؤها عليه .
الـسـابــع : أن خواص الخلق ، الذين هم أكمل الخليقة أخلاقاً وعقولاً ، ورأيا ، وصواباً ، وعلما – وهم الرسل والأنبياء والعلماء الربانيون – قد شهدوا لله بذلك.
الـثـامـن : ما أقامه الله من الأدلة الأفقية والنفسية ، التي تدل على التوحيد أعظم دلالة ، تنادي عليه بلسان حالها ، بما أودعها من لطف صنعته ، وبديع حكمته ، وغرائب خلقه ، فهذه الطرق ، التي أكثر الله من دعوة الخلق بها ، إلى أنه لا إله إلا الله ، وأبداها في كتاب ، وأعادها ، عند تأمل العبد في بعضها ، لابد أن يكون عنده يقين ، وعلم بذلك ، فكيف ، إذا اجتمعت وتواطأت ، واتفقت ، وقامت أدلة للتوحيد من كل جانب .

فهناك يرسخ الإيمان والعلم بذلك ، في قلب العبد ، بحيث يكون كالجبال الرواسي لا تزلزله الشبه والخيالات ، ولا يزداد – على تكرار الباطل والشبه – إلا نموا وكمالاً.
هــذا ، وان نظرت إلى الدليل العظيم ، والأمر الكبير – وهو تدبر هذا القرآن العظيم والتأمل في آياته فإنه الباب الأعظم إلى العلم بالتوحيد ويحصل به من تفاصيله وجمله ما لا يحصـــــــــل في غيره " . أهـ(2)

<u>مــا تفيده الآيــة :</u>

---

1) سورة محمد الآيــ 19 ــة .
2) تفسير ابن سعدي 5/ 30

أولاً : وجوب العلم بمعنى لا إله إلا الله نفياً وإثباتاً وقد ذكر الشيخ رحمه الله الطرق الموصلة إلى هذا العلم .
ثانياً : في أمره صلى الله عليه وسلم بالاستغفار للمؤمنين والمؤمنات شمول للعصاة من المسلمين.
قال الإمام أحمد : ومن مات من أهل القبلة موحداً يصلي عليه ويستغفر له ولا يحجب عنه الاستغفار ولا تترك الصلاة عليه لذنب أذنبه – صغيراً كان أو كبيراً – أمره إلى الله تعالى [1]
قلت : - هذا هو ما أجمع عليه أهل السنَّة فيمن مات على كبيرة من أهل التوحيد.
ثالثاً : إحاطة علم الله بأعمال العباد ومجازاتهم عليها .

قوله : **((إلا من شهد بالحق وهم يعلمون))**
قال ابن كثير رحمه الله : " هذا استثناء منقطع أي لكن من شهد بالحق على بصيرة وعلم فإنه تنفع شفاعته عنده بإذنه له " ا.هـ [2]
قوله : **((أي بلا إله إلا الله))**
قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي : " أي نطق بلسانه مقرا بقلبه عالما بما يشهد به ويشترط أن يكون شهادته بالحق وهي الشهادة لله تعالى بالوحدانية ولرسله بالنبوة والرسالة وصحة ما جاءوا به من أصول الدين وفروعه وحقائقه وشرائعه " [3]
قوله : في ((**الصحيح**)): أي في صحيح مسلم .
قوله : ((**من مات وهو يعلم ... الخ**)) : قال النووي مبوباً عليه في كتاب الإيمان : " باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً " .
قلت : - اتفق صحة استشهاد المصنف واستنباط النووي من لفظ الحديث ، وفي معناه أحاديث كثيرة منها:
أولاً : ما رواه الشيخان عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل " [4]
ثانياً : ما رواه مسلم عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار" [5].

فهذه الأحاديث كما ترى وما في معناها تفيد أمرين : -
الأول : الوعد بدخول الجنة لمن مات على التوحيد .
والثاني : أن مرتكب الكبيرة لا يخرج عن مسمى الإيمان ففيها شاهد لمعتقد أهل السنَّة والجماعة أن الفاسق الملي مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ويزيد هذا توضيحاً ما رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسول الله فلا تخفروا الله في ذمته) [6]

1) أصول السنة ص60
[2]) تفسير ابن كثير 4 / 147
[3]) تفسير ابن سعدي 4/ 461
4) البخاري كتاب الأنبياء باب قوله تعالى: (إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه إسمه المسيح بن مريم) .مسلم كتاب الإيمان باب : الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا
[5]) مسلم كتاب الإيمان باب : من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات مشركا دخل النار
6) البخاري : أبواب القبلة : فضل استقبال القبلة .



[[الشرط الثاني : اليقين وهو كمال العلم بها المنافي للشك والريب .

ودليل اليقين : قوله تعالى { إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون } [1]. فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا ، أي لم يشكوا فأما المرتاب فهو من المنافقين .

ومن السنَّة : الحديث الثابت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقي الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة)[2].

وفي رواية(لا يلقي الله بهما عبد غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة)[3].

وعن أبي هريرة أيضاً من حديث طويل(من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة) [4] .]]

قـولـه : ((إنما المؤمنون الذين أمنوا بالله ورسوله)) .. الآية .

{ إنما } أداة حصر وهو إثبات الحكم في المذكور ونفيه عما سواه ، والمعنى : أن من أهل الإيمان الحق ظاهراً وباطناً من آمن بالله ورسوله قولاً وفعلاً واعتقاداً غير شاك في ذلك ولا مرتاب وجاهد بماله ونفسه في سبيل الله ولهذا قال : { أولـئك هم الصادقون } .

والشاهد من الآية : { ثم لم يرتابوا } وفي الآية غير ما استدل له المصنف دليل على أن العمل من مسمى الإيمان .

ووجه دلالتها على ذلك ذكر الجهاد في سبيل الله وهو عمل ضمن خصال الإيمان الواردة في الآية .

ويدل لذلك من السنَّة ما رواه الشيخان عن أبى حمزة قال : كنت أترجم بين يدي ابن عباس وبين الناس فأتته امرأة تسأله عن نبيذ الجر : فقال: إن وفد عبد القيس أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [من الوفد ؟ أو من القوم ؟ قالوا : ربيعة قال [مرحباً بالقوم ، أو بالوفد ، غير خزايا ولا ندامى] قال : فقالوا يا رسول الله إنا نأتيك من شقة بعيدة وإن بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر وإنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في شهر الحرام فمرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا ندخل به الجنة ، قال : فأمرهم بأربع : ونهاهم عن أربع . قال أمرهم بالإيمان بالله وحده وقال [هل تدرون ما الإيمان بالله] قالوا الله ورسوله أعلم قال : [شهادة أن لا

---

1) سورة الحجرات آيـ 15 ـة .
2) مسلم كتاب الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا.
3) المصدر نفسه .
4) المصدر نفسه .

إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وٌقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وأن تؤدوا خمساً من المغنم .... الحديث [1].
الشاهد منه تفسير النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان بأعمال الإسلام الظاهرة .

قـولــه : ((من السنـَّة الحديث الثابت في الصحيح .))
قلت : هو في صحيح مسلم وله قصة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير قال فنفدت أزواد القوم قال حتى هم بنحر بعض حمائلهم قال : فقال عمر يا رسول الله لو جمعت ما بقي من أزواد القوم فدعوت الله عليها قال ففعل قال فجاء ذو البر ببره وذو التمر بتمره ، قال مجاهد وذو النواة بنواه قلت : وما كانوا يصنعون بالنوى قال كانوا يمصونه ويشربون عليه الماء ، قال فدعا عليها حتى ملأ القوم أزودتهم فذكره [2].
قـولــه : ((أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله)) .
الشهادة في اللغة الإعلام والإقرار ، والمراد به هاهنا اعتراف المكلف لله بالعبادة والوحدانية وللنبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة .
قـولـه : ((لا يلقى الله بهما عبد)) .
أي يوم القيامة بالشهادة لله بالوحدانية ولنبيه بالرسالة .
قـولـه : ((غير شاكٍ فيهما)) .
أي مرتاب ولا متردد .
وهذا هو وجه الشاهد من الحديث .
قـولـه : ((وفي رواية)) .
قلت : هو كالذي قبله عند مسلم وبنفس السياق مع اختلاف يسير وفيه تحديد بأن تلك الحادثة وقعت في غزوة تبوك.
قـولــه : ((**فيحجب عن الجنة**)) :أي لا يمنع عن الجنة ، ولابد حيال ذلك من بيان أمرين :
الأمرالأول : أن الحجب عن الجنة نوعان :
الأول : حجب دائم وهذا في حق الكفار وهو المنفي عن من لقي الله على التوحيد.
والثاني : حجب مؤقت ، وهذا قد يصيب بعض الموحدين لاقترافهم الكبائر كما دلت عليه الأحاديث المتواترة في الشفاعة .
والأمر الثاني : أن الحجب المنفي في هذا الحديث ليس على إطلاقه بل مقيد بالقيود الثقال ، من العلم بمعنى لا إله إلا الله والعمل بمقتضاها وستعرف مزيداً من البسط عند كلامنا على حديث عتبان في شرط الإخلاص .
قـولـه : ((وعن أبي هريرة أيضاً من حديث طويل))
قلت : هو عند مسلم ولفظه : كنا قعوداً حول رسول الله صلى الله عليه وسلم معنا أبو بكر وعمر في نفر فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أظهرنا فأبطأ علينا وخشينا أن يقتطع دوننا وفزعنا فقمنا فكنت أول من فزع فخرجت أبتغي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتيت حائطاً للأنصار لبني النجار فدرت به هل أجد له بابا فلم أجد ، فإذا ربيع يدخل في جوف حائط من بئر خارجه (والربيع الجدول) فاحتفزت كما يحتفز الثعلب فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (أبو هريرة ؟) فقلت نعم يا رسول . قال : (ما شأنك؟) قلت كنت بين أظهرنا فقمت فأبطأت علينا فخشينا أن تقتطع دوننا ففزعنا فكنت أول من فزع فأتيت هذا الحائط فاحتفزت كما يحتفز الثعلب ، وهؤلاء الناس ورائي فقال (يا أبا هريرة) وأعطاني نعليه ، قال إذهب بنعلي هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستقيماً بها قلبه فبشره بالجنة) فذكر الحديث وفيه أن عمر قال : يا رسول الله بأبي أنت وأمي ، ابعثت أبا هريرة بنعليك من لقي يشهد

---

1) البخاري مواقيت الصلاة باب (منيبين إليه واتقوه و أقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين). مسلم كتاب الإيمان : باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وشرائع الدين والدعاء إليه والسؤال عنه وحفظه وتبليغه من لم يبلغه
2) مسلم كتاب الإيمان باب الدليل عل أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً .

أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشره بالجنة ؟ قال نعم ؟ قال : فلا تفعل . فإني أخشى أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملون . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [فخلهم] [1].

قـوله : ((**فبشره**)).

يقال : أبشرت الرجل وبشَّرته وبشرته أخبرته بسار بسط بشرة وجهه ، وذلك أن النفس إذا سُرّت انتشر الدم فيها انتشار الماء في الشجر ، والمعنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أبا هريرة أن يعلم كل مسلم لقيه بأنه من أهل الجنة .

قـولـه : ((**مستيقناً بها قلبه**)) .

اشتراط اليقين يستلزم نفي الشك والريب وهذا هو محل الشاهد من الحديث.

ما تفيده الأحاديث :

أولاً : وجوب الإيمان باليوم الآخر وما فيه من حساب وجزاء .

ثانيا : فضل التوحيد وأنه سبب في دخول الجنة لمن مات عليه موقناً به.

ثالثاً : أن العبرة في قبول الشورى بالإصابة و إن كانت من واحد وأنه لا عبرة بجمع الأصوات .

رابعاً : إن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ومرد ذلك إلى الشرع لا إلى مجرد العقل ، وشواهد ذلك من النصوص تفوق الحصر ولا يتسع المجال لذكرها في هذا الموضع .



[[الشرط الثالث :الإخلاص المنافي للشرك.

ودليل الإخلاص : قوله تعالى { ألا لله الدين الخالص }[2].

وقوله سبحانه وتعالى { وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء }[3].

ومن السنَّة : الحديث الثابت في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم [أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه] [4].

وفي الصحيح عن عتبان بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : [إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله عز وجل] [5].

وللنسائي في " اليوم والليلة " من حديث رجلين من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال [من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مخلصاً بها قلبه يصدق بها لسانه إلا فتق الله لها

---

1) مسلم كتاب الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً .
2) سورة الزمر آيــ 3 ــة .
3) سـورة البـيـنـة آيــ 5 ــة .
4) البخاري كتاب العلم باب الحرص على الحديث .
5) البخاري كتاب المساجد باب المساجد في البيوت .

السماء فتقاً حتى ينظر إلى قائلها من أهل الأرض ، وحق لعبد نظر الله إليه أن يعطيه سؤله][1].]]

قــولـــه : ((**الإخـلاص**)) : هو في اللغة : التصفية. وفي الشرع : تخليص العبادة وتصفيتها من شائبة الشرك والرياء .
قــولــه : ((**ألا لله الدين الخالص**))
قال ابن كثير رحمه الله : " أي فاعبد الله وحده لا شريك له وادع الخلق إلى ذلك وأعلمهم أنه لا تصلح العبادة إلا له وحده وأنه ليس له شريك ولا عديل ولا نديد ولهذا قال تعالى { ألا لله الدين الخالص } أي لا تقبل من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله وحده لا شريك له ." أ.هـ[2].
وقال ابن سعدي رحمه الله : " هذا تقرير للأمر بالإخلاص وبيان أنه تعالى كما أنه له الكمال كله وله التفضل على عباده من جميع الوجوه فكذلك له الدين الخالص الصافي من جميع الشوائب فهو الدين الذي ارتضاه لنفسه وارتضاه لصفوة خلقه وأمرهم به لأنه متضمن للتأله لله في حبه وخوفه ورجائه والإنابة إليه في تحصيل مطالب عباده وذلك الذي يصلح القلوب ويزكيها ويطهرها دون الشرك به في شيء من العبادة فإن الله بريء منه وليس لله فيه شيء" انتهى محل الشاهد[3].
ويزيد ما ذكره هذان الإمامان في معنى الآية توضيحاً وتأكيداً ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى : (أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)[4].

قــولــه : ((**ومـا أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين لـه الـدين حنفـاء**)) تمامها { ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة }.
قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي : " { وما أمروا } في سائر الشرائع { إلا ليعبدوا الله مخلصين لـه الـدين } أي قاصدين بجميع عباداتهم ، الظاهرة والباطنة وجه الله وطلب الزلفى لديه . { حنفـاء } أي معرضين مائلين عن سائر الأديان ، المخالفة لدين التوحيد ، وخص الصلاة والزكاة بالذكر مع أنهما داخلان في قوله { ليعبدوا الله مخلصين له الدين } لفضلهما وشرفهما وكونهما العبادتين اللتين من قام بهما قام بجميع شرائع الدين { وذلك } أن التوحيد والإخلاص في الدين هما { دين القيمة } أي الدين المستقيم ، الموصل إلى جنات النعيم وما سواه فطرق موصلة إلى الجحيم"[5].أهـ
قلت : وفيما أسلفنا من الأدلة على وجوب الإخلاص وما يأتي في الباب تأكيد لما قاله الشيخ رحمه الله .
قــولـــه : ((ومن السنـَّة : الحديث الثابت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه")).
قـلـت : الحديث في صحيح البخاري [6]. وغيره [7] . ولفظه عند البخاري عن أبي هريرة أنه قال : قيل يا رسول الله : من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

1) عمل اليوم والليلة ص 150.
2) تفسير ابن كثير 4/ 49.
3) تفسير ابن سعدي 4/ 306.
4) صحيح مسلم كتاب الزهد والرقائق باب من أشرك في عمله غير الله .
5) تفسير ابن سعدي 5/ 442.
6) البخاري كتاب العلم باب الحرص على الحديث . 7) أنظر ظلال الجنة 2/ 394

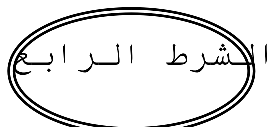
(لقد ظننت – يا أبا هريرة – أن لا سألني عن هذا الحديث أول منك ، لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه).
وأعلم بأن الشفاعة المذكورة في هذا الحديث هي الشفاعة في أهل الكبائر من الموحدين ، تلك الشفاعة التي أنكرها طوائف من المبتدعة كالخوارج والمعتزلة.
قال الحافظ في الفتح على هذا الحديث : " لعل أبا هريرة سأل عن ذلك عند تحديثه صلى الله عليه وسلم بقوله : (وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة) وقد تقدم سياقة وبيان الفاظه في أول كتاب الدعوات ومن طرقه (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) " [1].
قلت : وبهذا يتضح لك صحة احتجاج أهل السنَّة والجماعة على ثبوت هذه الشفاعة وفساد مذهب المخالف .
قوله : وفي الصحيح عن عتبان بن مالك ... الخ.
قلت : الحديث عند الشيخين وله قصة ولفظ البخاري أن عتبان ابن مالك وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن شهد بدراً من الأنصار : أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله قد أنكرت بصري وأنا أصلي لقومي فإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم لم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلي بهم ، لوددت - يارسول الله - أنك تأتيني فتصلي في بيتي فأتخذه مصلى ، قال : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم (سأفعل إن شاء الله) ، قال عتبان : فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر حين ارتفاع النهار فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذنت له فلم يجلس حتى دخل البيت ثم قال : (أين تحب أن أصلي من بيتك) قال : فأشرت إلى ناحية من البيت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبر فقمنا فصففنا فصلى ركعتين ثم سلم قال : وحبسناه على خزيرة صنعناها له ، قال : فثاب في البيت رجال من أهل الدار ذو عدد فاجتمعوا فقال قائل منهم أين مالك بن الدُّخيشن أو ابن الدُّخشن ؟ فقال بعضهم ذلك منافق لا يجب الله ورسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تقل ذلك ، ألا تراه قد قال لا إله إلا الله ، يريد بذلك وجه الله) قال : الله ورسوله أعلم قال : فإن نرى وجهه ونصيحته إلى المنافقين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فذكره .

قوله : ((**فإن الله قد حرم على النار**)) .
قلت : التحريم نوعان :
تحريم دخول وهذا في حق من مات على التوحيد غير مرتكب للكبائر ولا مصر على الصغائر.
وتحريم خلود وهذا في حق عصاة الموحدين كما دلت عليه أحاديث الشفاعة المتواترة في أهل الكبائر .
قوله : ((**من قال لا إله إلا الله**)) أي تلفظ بالشهادة ولابد من العلم بأن هذا القول مقيد كما سبق في حديث أبي هريرة في الشرط الثاني وكما سيأتي .
قوله : (([**يبتغي بذلك**)) أي يطلب ويرجو والإشارة بذلك إلى النطق بالشهادة .
قوله : ((**وجه الله**)) فيه إثبات صفه الوجه لله والشاهد من الحديث اشتراط الإخلاص في النطق الشهادة.
كما يفيد أحكاماً أخرى منها : تحريم أهل التوحيد الخالص على النار وأعلم أن التحريم في هذا الحديث وما في معناه ليس على إطلاقه بل مقيد .
قال الشيخ سليمان بن عبد الله في شرحه على هذا الحديث بعد نقله كلاماً مطولاً لشيخ الإسلام ابن تيمية : " وحاصله أن لا إله إلا الله سبب لدخول الجنة والنجاة من النار ومقتضياً لذلك ولكن المقتضى لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه أو لوجود مانع ، ولهذا قيل للحسن إن ناساً يقولون : ((من قال لا إله إلا الله دخل الجنة)) ، فقال من قال : " لا إله إلا الله فأدى حقها وفرضها دخل الجنة ".

---
1) فتح الباري كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار 11/ 443.

وقال وهب بن منبة : لمن سأله : أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة ؟ قال : " بلى ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان ، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح".
ويدل على ذلك أن الله رتب دخول الجنة على الإيمان والأعمال الصالحة وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم كما في ((الصحيحين)) عن أبي أيوب ، أن رجلاً قال : يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة فقال : (تعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصل الرحم) . وفي المسند ، عن بشر بن الخصاصية قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم لأبايعه ، فاشترط عليّ شهادة لا إله إلا الله و أن محمداً عبد الله ورسوله ، وأن أقيم الصلاة ، وأن آتي الزكاة ، وأن أحج حجة الإسلام ، وأن أصوم رمضان ، وأن أجاهد في سبيل الله ، فقلت : يا رسول الله أما اثنتين ، فو الله ما أطيقهما الجهاد والصدقة ، فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ثم حركها وقال : فلا جهاد ولا صدقة ، فبم تدخل الجنة إذاً ؟ قلت : يا رسول الله أبا يعك عليهن كلهن ، ففي الحديث أن الجهاد والصدقة شرط في دخول الجنة مع حصول التوحيد ، والصلاة ، والحج ، والصيام ، والأحاديث في هذا الباب كثيرة ، وفيه تحريم النار على أهل التوحيد الكامل ، وفيه أن العمل لا ينفع إلا إذا كان خالصاً لله تعالى."[1]
قلت : وهذا الذي ذكره الشيخ يتحتم المصير إليه جمعاً بين النصوص.

قـولـه : ((وللنسائي : في اليوم والليلة من حديث رجلين ..)) الخ.
قلت : وفي إسناده محمد بن عبد الله بن ميمون ويعقوب بن عاصم ابن عروة بن مسعود .
قال الحافظ في كل منهما: " مقبول " ، والمعروف فيمن هذا حاله في اصطلاحه انه لين الحديث إذا لم يتابع فالحديث على هذا ضعيف ولم أجد له من الشواهد والمتابعات ما يقويه والله أعلم .



[[الشـرط الرابـع :–الصدق المنافي للكذب المانع من النفاق ودليل الصدق : قوله تعالى : { ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين }[2].
وقوله تعالى : { ومن الناس من يقول أمنا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين أمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون }[3].
ومن السنَّة : ما ثبت في الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : (ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار) [1].]]

---
1) تيسير العزيز الحميد (91) .
2) العنكبوت آية 30 .
3) البقرة آية 8 - 9 - 10 .
1) البخاري كتاب العلم باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية ألا يفهموا .

قــولــه : ((ألم ..... الآيات)) .
قال البغوي رحمه الله : " { ألم أحسب الناس } أظن الناس { أن يتركوا } بغير اختبار ولا ابتلاء { أن يقولوا } أي بأن يقولوا { آمنا وهم لا يفتنون } لا يبتلون في أموالهم وأنفسهم كلا لنختبرنهم ليبين المخلص من المنافق ، والصادق من الكاذب إلى أن قال وقيل { وهم لا يفتنون } بالأوامر والنواهي وذلك أن الله تعالى أمرهم في الابتداء بمجرد الإيمان ثم فرض عليهم الصلاة والزكاة ، وسائر الشرائع فشق على بعضهم فأنزل الله هذه الآية ثم عزاهم فقال { ولقد فتنا الذين من قبلهم } يعني الأنبياء والمؤمنين فمنهم من نشر بالمنشار ، ومنهم من قتل ، وابتُلِيّ بنوا إسرائيل بفرعون فكان يسومهم سوء العذاب { فليعلمن الله الذين صدقوا } في قولهم آمنا { وليعلمن الكاذبين } والله أعلم بهم قبل الإختبار ، ومعنى الآية وليظهرن الصادقين من الكاذبين حتى يوجد معلومة " انتهى محل الغرض[2].
قــولــه : ((**ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر ... الآيات**)) هذا إخبار من الله جل وعلا عما درج عليه المنافقون من إظهار الإيمان بألسنتهم وإضمار الكفر في قلوبهم مخادعة لله زعموا والمؤمنين كي يغتروا بهم ويركنوا إليهم والنتيجة العكسية لهذه المراوغة هي خداعهم أنفسهم ولكنهم لا يشعرون بذلك لفرط جهلهم وخبث طويتهم ، والباعث لأولـئك على هذا التلون والكذب هوالشك { في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا } فالجزاء من جنس العمل .
هذه عقوبتهم في الدنيا وذلك نظير قوله تعالى في كفار بني إسرائيل { فلما أزاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين }.
وأما عقوبتهم في الآخرة ففي قوله تعالى { ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون }.
ونظير ما قصه الله عن المنافقين في آيات البقرة هذه قوله تعالى من سورة النساء { إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً }[3] .
قال ابن سعدي : يخبر الله تعالى عن المنافقين بما كانوا عليه من قبيح الصفات وشنائع السمات ، وأن طريقتهم مخادعة الله تعالى ، أي بما أظهروه من الإيمان وأبطنوه من الكفران ظنوا أنه يروج على الله ولا يعلمه ولا يبديه لعباده والحال أن الله خادعهم بمجرد وجود هذه الحال منهم ومشيهم عليها ، خداع لأنفسهم وأي خداع أعظم ممن يسعى سعياً يعود عليه بالهوان والذل والحرمان ؟
ويدل – بمجرده – على نقص عقل صاحبه ، حيث جمع بين المعصية ورآها حسنة وظنها من العقل والمكر ، فالله ما يصنع الجهل والخذلان بصاحبه ومن خداعه لهم يوم القيامة ما ذكره الله في قوله : { يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا إنظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم } إلى آخر الآيات .
ومن صفاتهم أنهم : { إذا قاموا إلى الصلاة } التي هي أكبر الطاعات العملية إن قاموا { قاموا كسالى } متثاقلين لها متبرمين من فعلها .
والكسل لا يكون إلا من فقد الرغبة من قلوبهم ، فلولا أن قلوبهم فارغة من الرغبة إلى الله وإلى ما عنده ، عادمة للإيمان لم يصدر منهم الكسل .
{ يراءون الناس } أي هذا الذي انطوت عليه سرائرهم وهذا مصدر أعمالهم ، مراءاة الناس ، يقصدون رؤية الناس وتعظيمهم واحترامهم ولا يخلصون لله.

---

2) تفسير البغوي 460/3.
3) سورة النساء آيـ 143 ـة .

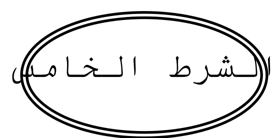
فلهذا : { لا يذكرون الله إلا قليلا } لإمتلاء قلوبهم من الرياء فإن ذكر الله تعالى وملازمته لا يكون إلا من مؤمن ممتلئ قلبه بمحبة الله وعظمته . { مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء } أي مترددين بين فريق المؤمنين وفريق الكافرين ، فلا من المؤمنين ظاهرا وباطنا ولا من الكافرين ظاهرا وباطنا ، أعطوا باطنهم للكفرين وظاهرهم للمؤمنين وهذا أعظم ضلال يقدر.

ولهذا قال : { ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا } أي : لن تجد طريقا لهدايته ولا وسيله لترك غوايته لأنه انغلق عنه باب الرحمة وصار بدله كل نقمة ، فهذه الأوصاف المذمومة تدل بتنبيهها على أن المؤمنين متصفون بضدها من الصدق والإخلاص ظاهرا وباطنا وأنهم لا يجهل ما عندهم من النشاط في صلاتهم وعبادتهم وكثرة ذكرهم لله تعالى وأنهم قد هداهم الله ووفقهم للصراط المستقيم فليعرض العاقل نفسه على هذين الأمرين وليختر أيها أولى به والله المستعان أهـ [1].

قـولـه : ((ومن السنـَّة ما ثبت في الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ...)) الخ

قلت : وهو كما قال ؛ فقد أخرج الشيخان برواية أنس عن معاذ ولفظ البخاري : أن النبي صلى الله عليه وسلم ومعاذ رديفه على الرحل قال : يا معاذ بن جبل قال لبيك يا رسول الله
وسعديك قال : يا معاذ قال : لبيك يا رسول الله وسعديك (ثلاثاً) قال : ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسو الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار ، قال : يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا ؟ قال : إذاً يتكلوا ، وأخبر بها معاذ عند موته تأثماً أهـ[2].
والشاهد من الحديث قوله : " صدقا من قلبه " .
قال الحافظ : [صدقا] فيه احتراز عن شهادة المنافق[3].
قلت : وبهذا يظهر لك تطابق الحديث مع ما أورده المصنف من الآيات قبله على رد الشهادة إذا لم يجتمع مع لفظها اعتقاد القلب ، وقد أكذب الله المنافقين ورد قولهم مع تصريحهم بالشهادة للنبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة إذ كان ذلك مقصوراً منهم على النطق بالألسن فقال جل ذكره { إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون }.

وفي الحديث فوائد غير ما تقدم منها :
جواز تخصيص المعلم بعض تلاميذه بمسائل من العلم دون الآخرين إذا خشي عدم فهمهم لها ، وعليه بوب البخاري رحمه الله فقال : (باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا) .
ومنها : أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ومرد ذلك إلى الشرع لا إلى العقل ومع قيام الدليل القطعي من الكتاب والسنـَّة على هذا الجانب العظيم فقد غفل عنه كثير من الناس والله المستعان .



[[الشرط الخامس:المحبة لهذه الكلمة ولما دلت عليه والسرور بذلك.

1) ابن سعدي 1/ 429.
2) البخاري كتاب العلم باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا .
3) الفتح 1/ 226.

ودليل المحبة : قوله تعالى : { ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله } [1].

وقوله { يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم }[2].

ومن السنَّة : ما ثبت في الصحيح عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار][3].]

قوله : المحبة لهذه الكلمة ولما دلت عليه والسرور بذلك أقول وهذا يتحقق بأمرين :
أولهما : إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له .
ثانيهما : نبذ الشرك .
قال المصنف : أصل الدين وقاعدته أمران :
الأول : الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له والتحريض على ذلك والمولاة فيه وتكفير من تركه.
الثاني : الإنذار عن الشرك في عبادة الله والتغليظ في ذلك والمعاداة فيه وتكفير من فعله[4].
فتأمل رحمنا الله وإياك هذا الكلام النفيس ، الذي يجب أن يعيه المسلمون عامة ، والعلماء والدعاة إلى الله خاصة .
قوله : ((**ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا**)) الآية .
جاءت هذه الآية عقب آية ضمنها الحق جل ثناؤه عددا من الأدلة على وحدانيته وتفرده بالعبادة وعلى الرغم من تلك الأدلة إلا أنه كان من الناس من عمد إلى اتخاذ الأنداد وهم الشركاء وجعلوا لهم من المحبة مثل ما لله عز وجل وفي معنى قوله تعالى { والذين آمنوا أشد حباً لله} قولان لأهل العلم :
أحدهما : { والذين آمنوا أشد حباً لله } من محبة المشركين لله لأن محبتهم للرب خالصة ومحبة المشركين مشتركة.
وثانيهما : { والذين آمنوا أشد حبا لله } من محبة المشركين لأندادهم.
والأول أرجح وأظهر – والعلم عند الله تعالى .
وفي الآية دليل على تحريم نوع من أنواع الشرك الأكبر وهو شرك المحبة كصنيع المشركين في تسويتهم أندادهم في المحبة بالله .
قوله : { يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه } الآية .
هذا إخبار بأنه سبحانه وتعالى من كمال قدرته وغناه وحفظه دينه إذا ارتد عنه أهله المخاطبون به أولاً ، بأنه سوف يأتي بمن يحمي هذا الدين ويتحمله وهم متصفون بخمس صفات :
الأولى : أن الله يحبهم لتمسكهم بدينه وشرعه وأنهم يحبونه فيمتثلون أوامره ونواهيه .

---

1) سورة البقرة آيـ 165 ـة .
2) سورة المائدة آيـ 54 ـة .
3) مسلم كتاب الإيمان باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان .
4) الرسالة الأولى في التوحيد الإيمان ضمن الخمس رسائل للشيخ عبد الرحمن بن حسن بالجامع الفريد .

الثانية : لينوا الجانب لأهل الإيمان .
الثالثة : { أعزة على الكافرين } أي أقوياء على أهل الكفر ، ونظير هاتين الصفتين قوله تعالى { محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم }[1] .
الصفة الرابعة : يجاهدون في سبيل الله من كفر بالله إعلاءً لكلمته وإعزازاً لدينه.
الخامسة : (لا يخافون لومة لآئـم) فيقولون بالحق أينما كانوا، وفق ماتوجيه الشريعة .
وقد تحقق ما وعد الله به في هذه الآية على يدي أبي بكر الصديق وجيشه حين قاتلوا المرتدين من أهل الجزيرة عقيب وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أعادوهم إلى حظيرة الإسلام .

ما تفيده الآيات :
أولاً : وجوب إخلاص العبادة لله .
ثانياً : إثبات المحبة من جانب الرب وجانب العبد.
ثالثاً : ثناء الله على أهل الإيمان بكمال محبتهم له.
رابعاً : أن العاقبة الحميدة لأهل الإيمان .

قـولـه : ((في الصحيح))
قلت : أخرجه الشيخان وهذا لفظ البخاري .
قـولـه : ((ثلاث من كن فيه ....)) الخ.
قال النووي في معنى الحديث : "هذا حديث عظيم أصل من أصول الإسلام "
قال العلماء رحمهم الله معنى حلاوة الإيمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات في رضى الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم .
وإيثار ذلك على عرض الدنيا ومحبة العبد ربه سبحانه وتعالى بفعل طاعته وترك مخالفته وكذلك محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم .
قال القاضي رحمه الله هذا الحديث بمعنى الحديث المتقدم ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا وذلك أنه لا يصح المحبة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم حقيقة وحب الآدامي في الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وكراهة الرجوع إلى الكفر إلا لمن قوي بالإيمان يقينه و اطمأنت به نفسه وانشرح له صدره وخالط لحمه ودمه وهذا هو الذي وجد حلاوته.
قال والحب في الله من ثمرات حب الله .
قال بعضهم : المحبة مواطأة القلب على ما يرضى الرب سبحانه فيحب ما أحب ويكره ما كره[2] .
وقال الشيخ سليمان : قال شيخ الإسلام : أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن هذه الثلاث من كن فيه وجد الإيمان لأن وجود الحلاوة للشيء يتبع المحبة له فمن أحب شيئا واشتهاه إذا حصل له مراده فإنه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك واللذة أمر يحصل عقيب إدراك الملائم الذي هو المحبوب أو المشتهى قال : فحلاوة الإيمان المتضمنة للذة والفرح يتبع كمال محبة العبد له ، وذلك بثلاثة أمور :
تكميل هذه المحبة وتفريغها ودفع ضدها فتكميلها أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، فإن محبة الله ورسوله ، لا يكتفى فيها بأصل الحب بل لابد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .
قلت : ولا يكون كذلك إلا إذا وافق ربه ، فيما يحبه وما يكرهه.
قال : وتفريغها : أن يحب المرء لا يحبه إلا لله .

---

1) سورة الفتح آيــ 29 ــة .
2) مسلم بشرح النووي 13/2.

قلت : فإن من أحب مخلوقاً لله ، لا لغرض آخر ، كان هذا من تمام حبه لله ، فإن محبة محبوب المحبوب من تمام محبة المحبوب ، فإذا أحب أنبياء الله وأولياءه ، لأجل قيامهم بمحبوبات الله لا لشيء آخر فقد أحبهم لله لا لغيره .

قال : ودفع ضدها أن يكره ضد الإيمان ، كما يكره أن يقذف في النار .

قلت : إنما كره الضد لما دخل قلبه من محبة الله ، فانكشف له بنور المحبة محاسن الإسلام ، ورذائل الجهل والكفران وهذا هو المحب الذي يكون مع من أحب كما في الصحيح عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم متى الساعة ؟ فقال ما أعدت لها ؟ قال : ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنت مع من أحببت) .

وفي رواية للبخاري :فقلنا ونحن كذلك قال نعم قال أنس : " ففرحنا يومئذ فرحاً شديداً " .

وقوله : ((**مما سواهما**)) فيه جمع ضمير الرب سبحانه وضمير الرسول صلى الله عليه وسلم وقد أنكره على الخطيب لما قال ومن يعصهما فقد غوى ، وأحسن ما قيل فيه قولان :

أحدهما : ما قاله البيضاوي وغيره أنه ثنى الضمير هنا إيماء إلى أن المعتبر هو مجموع المركب من المحبتين لا كل واحدة فإنها وحدها لا غية وأمر بالإفراد في حديث الخطيب أشعاراً بأن كل واحد من العصيانين مستقل باستلزام الغواية إذ العطف في تقدير التكرير والأصل استقلال كل من المعطوفين في الحكم.

قلت : وهذا جواب بليغ جداً .

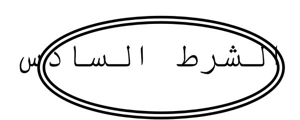
الثاني : حمل حديث الخطيب على الأدب والأولى ، وهذا على الجواز.

وجواب ثالث : وهو أن هذا ورد على الأصل ، وحديث الخطيب ناقل فيكون أرجح.

قوله : ((**كما يكره أن يقذف في النار**)) أي : يستوي عنده الأمران الإلقاء في النار والعود في الكفر .

قلت : وفي الحديث من الفوائد أن الله تعالى يحبه المؤمنون وهو تعالى يحبهم كما قال { يحبهم ويحبونه }.

- وفيه رد ما يظنه الناس من أنه من ولد على الإسلام أفضل ممن كان كافراً فأسلم فمن أتصف بهذه الأمور فهو أفضل ممن لم يتصف بها مطلقاً ولهذا كان السابقون الأولون أفضل ممن ولد على الإسلام .
- وفيه رد على الغلاة الذين يتوهمون أن صدور الذنب من العبد نقص في حقه مطلقاً والصواب أنه أن لم يتب كان نقصاً ، وإن تاب فلا ، ولهذا كان المهاجرون والأنصار أفضل هذه الأمة وإن كانوا في أول الأمر كفارا يعبدون الأصنام بل المنتقل من الضلال إلى الهدى ومن السيئات إلى الحسنات يضاعف له الثواب قاله شيخ الإسلام .
- وفيه دليل على عداوة المشركين وبغضهم ، لأن من أبغض شيئاً أبغض من أتصف به فإذا كان يكره الكفر كما يكره أن يلقى في النار فكذلك يكره من أتصف به . انتهى[1] .



1) تيسير العزيز الحميد (477) .

[[الشرط السادس : الانقياد بحقوقها : وهي الأعمال والواجبة إخلاصاً لله وطلباً لمرضاته .

ودليل الانقياد : لما دلت عليه قوله تعالى { وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له}[2].

وقوله : { ومن أحسن قولاً ممن اسلم وجهه لله وهو محسن } [3].

وقوله : { ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى }[4].

أي بلا إله إلا الله.

وقوله : { فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيم شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما } [5].

ومن السنَّة : قوله صلى الله عليه وسلم [لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به] [6]. وهذا تمام الانقياد وغايته.]]

قوله : ((**وأنيبوا إلى ربكم**)) تمامها { من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون }.
قال البغوي رحمه الله : " { وأنيبوا إلى ربكم } أقبلوا وارجعوا إليه بالطاعة { وأسلموا له } وأخلصوا له التوحيد { من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون }"[7] .
وقال ابن سعدي : " ولهذا أمر تعالى بالإنابة إليه والمبادرة إليها فقال : { وأنيبوا إلى ربكم } بقلوبكم { وأسلموا له } بجوارحكم إذا أفردت الإنابة دخلت فيها أعمال الخوارج وإذا جمع بينهما كما في هذا الموضع كان المعنى ما ذكرناه .
وفي قوله : { إلى ربكم وأسلموا له } دليل على الإخلاص ، وأنه من دون إخلاص لا تفيد الأعمال الظاهرة والباطنة شيئاً .
{ من قبل أن يأتيكم العذاب } مجيئاً لا يدفع { ثم لا تنصرون } فكأنه قيل : ما هي الإنابة والإسلام ؟ وما جزئياتها وأعمالها ؟
فأجاب تعالى بقوله : { واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم } " [8].انتهى محل الغرض.
قلت : وتفسير هذين الإمامين مستنبط من ارتباط الآية بالتي قبلها : { قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تنقطعوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم }. فأعظم بتفسير يسنده الدليل فإنه يشفي العليل ويروي الغليل ، ويزيد المعنى وضوحاً وتأكيداً ما في صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (بادروا بالأعمال ستا : طلوع الشمس من مغربها ، أو الدخان ، أو الدجال ، أو الدابة ، أو خاصة أحدكم ، أو أمر العامة)[1] .
ووجه مطابقة الحديث للآية في الحث على المبادرة ، وهذا من الإنابة لله عز وجل .

2) سورة الزمر آيـ 45 ـة .
3) سورة النساء آيـ 125 ـة .
4) سورة لقمان آيـ 22 ـة .
5) سورة النساء آيـ 65 ـة .
6) البغوي شرح السنَّة 1/ 213.
7) تفسير البغوي 4/ 85.
8) تفسير ابن سعدي 4/ 332.
1) مسلم كتاب الفتن باب في بقية من أحاديث الدجال.

قــولــه : ((ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن)) تمامها { واتبع ملة إبراهيم حنيفاً } أي لا أحد أحسن تديناً وتعبداً لله ممن جمع في أقواله وأعماله بين الإسلام والإحسان . وهذا معناه أنه اجتمع له الإخلاص لله والمتابعة لرسوله صلى الله عليه وسلم .

قال الحافظ ابن كثير : " لما ذكر الجزاء على السيئات وأنه لابد أن يأخذ مستحقها من العبد إما في الدنيا وهو الأجود له وأما في الآخرة والعياذ بالله من ذلك ونسأله العافية في الدنيا والآخرة والصفح والعفو والمسامحة، شرع في بيان إحسانه وكرمه ورحمته في قبول الأعمال الصالحة من عبادة ذكرانهم وإناثهم بشرط الإيمان وأنه سيدخلهم الجنة ولا يظلمهم من حسناتهم ولا مقدار النقير وهو النقرة التي في ظهر نواة التمر والقطمير وقد تقدم الكلام على الفتيل وهو الخيط الذي في شق النواة ، وهذا النقير وهما في نواة التمرة والقطمير وهو اللفافة التي على نواة التمرة ، والثلاثة في القرآن .
ثم قال تعالى : { ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله } أي أخلص العمل لربه عز وجل فعمل إيماناً واحتساباً { وهو محسن } أي اتبع في عمله ما شرعه الله له وما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق ، وهذان الشرطان لا يصح عمل عامل بدونهما أي يكون خالصاً صواباً والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون متابعاً للشريعة فيصح ظاهره بالمتابعة وباطنه بالإخلاص فمتى فقد العمل أحد هذين الشرطين فسد ، فمتى فقد الإخلاص كان منافقاً وهم الذين يراؤون الناس ومن فقد المتابعة كان ضالاً جاهلاً ومتى جمعها كان عمل المؤمنين { الذين يتقبل عنهم أحسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم } الآية .
ولهذا قال تعالى : { واتبع ملة إبراهيم حنيفاً } وهم محمد وأتباعه إلى يوم القيامة كما قال تعالى { إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي } الآية . وقال تعالى : { ثم أوحينا إليك أن أتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين } والحنيف : هو المائل عن الشرك قصداً أي تاركاً له عن بصيرة ومقبل على الحق بكليته لا يصده عنه صاد ولا يرده عنه راد ." انتهى محل الغرض[2] .

وحاصل ما تضمنته الآية أمران :
أولهما : أنه لا ينال عمل عند الله القبول حتى يجتمع فيه الإيمان بالله والإخلاص له ومتابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا هو تمام الإنقياد وغايته .
وثاني الأمرين : أن الحنيفية التي بعث الله بها محمداً صلى الله عليه وسلم ومن قبله من الأنبياء والمرسلين : هي ملة إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم .
قــولــه : ((ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد أستمسك بالعروة الوثقى))
يخبر جل شأنه أن طريق الأستمساك بالعروة الوثقى هو الإستسلام لله مع الإحسان .

قــولــه : ((أي بلا إله إلا الله))
قلت : قد جاء هذا التفسير عن بعض السلف وإتماماً للفائدة وتقوية للمعنى ننقل ما قاله ابن كثير في نظير هذه الآية من سورة البقرة وهي قوله { فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد أستمسك بالعروة الوثقى لا إنفصام لها والله سميع عليم } أي من خلع الأنداد والأوثان وما يدعوا إليه الشيطان من عبادة كل ما يعبد من دون الله ووحد الله فعبده وحده وشهد أن لا إله إلا هو { فقد استمسك بالعروة الوثقى } أي فقد ثبت في أمره واستقام على الطريقة المثلى والصراط المستقيم .
إلى أن قال ومعنى قوله في الطاغوت أنه الشيطان قوي جداً فإنه يشمل كل شر كان عليه أهل الجاهلية من عبادة الأوثان والتحاكم إليها والإستنصار بها .

---

2) ابن كثير 1/ 573.

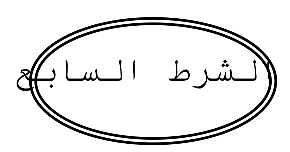
وقـولــه : { فقد استمسك بالعروة الوثقى لا إنفصام لها } أي فقد أستمسك من الدين بأقوى سبب وشبه ذلك بالعروة الوثقى التي لا تنفصم هي في نفسها محكمة مبرمة قوية وربطها قوي شديد ولهذا قال :
{ فقد أستمسك بالعروة الوثقى لا إنفصام لها }الآيــة .
قال مجاهد : { العروة الوثقى } يعني الإيمان .
وقال السدّي : هو الإسلام .
وقال سعيد بن جبير والضحاك : يعني لا إله إلا الله .
وعن أنس ابن مالك : { العروة الوثقى } القرآن .
وعن سالم بن أبيّ الجعد قال : هو الحب في الله والبغض في الله وكل هذه الأقوال صحيحة ولا تنافي بينها [1] . انتهى محل الغرض.

قـولــه : ((فلا وربك لا يؤمنون ....)) الآية
يخبر جل وعلا أن الإيمان الظاهر والباطن يحصل بثلاثة أمور :
أولها : تحكيم النبي صلى الله عليه وسلم وهو تحكيم شخصه في حياته وتحكيم شرعه بعد مماته.
ثانيها : أنتفاء الحرج من النفوس حال التحكيم وهذا يستلزم قبول الحكم مع أتساع الصدور وانشراحها له .
ثالثها : التسليم التام لحكمه صلى الله عليه وسلم .
ويوضح معنى هذه الآية ما رواه البخاري في كتاب التفسير عن عروة ابن الزبير قال : [خاصم الزبير رجلا من الأنصار في شريج من الحرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : [أسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك فقال الأنصاري يا رسول الله : أن كان ابن عمتك ؟ فتلون وجهه ثم قال أسق يا زبير ثم أحبس الماء حتى يرجع إلى الجدر ثم أرسل الماء إلى جارك واستوعى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه في صريح الحكم حين أحفظه الأنصاري كان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة قال الزبير : فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك { فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك في ما شجر بينهم }[2].
ونظير هذه الآية في وجوب التسليم لحكم الله ورسوله قوله تعالى : { فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا } .
قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي – رحمه الله – في شرح هذه الآية وما قبلها ثم أمر برد كل ما تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه إلى الله والرسول ، أي إلى كتاب الله وسنـَّة رسوله فإن فيهما الفصل في جميع المسائل الخلافية ، إما بصريحهما ، أو عمومهما ، أو إيماء ، أو تنبيه ، أو مفهوم ، أو عموم معنى يقاس عليه ما أشبههُ .
لأن كتاب الله وسنـَّة رسوله عليهما بناء الدين ولا يستقيم الإيمان إلا بهما فالرد إليهما شرط في الإيمان فلهذا قال : { إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر } فدل ذلك على أن من لم يرد إليهما مسائل النزاع فليس بمؤمن حقيقةً بل مؤمن بالطاغوت كما ذكر في الآية بعدها .
{ ذلك } أي : الرد إلى الله ورسوله { خير وأحسن تأويلا } . فإن حكم الله ورسوله أحسن الأحكام وأعدلها وأصلحها للناس في أمر دينهم ودنياهم وعاقبتهم ، أهـ [1].

ما تفيد الآيات :
أولاً : وجوب الإخلاص لله وحده ووجوب المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم وهذان هما سبيل التمسك بالعروة الوثقى .
ثانياً : وجوب الإنقياد لحكم الله ورسوله ظاهراً وباطناً وهذا هو وجه أستشهاد المصنف بها .

---
1) تفسير ابن كثير 1/ 319.
2) البخاري كتاب التفسير باب { فلا وربك لا يؤمنون } .
1) تفسير ابن سعدي 1/ 362.

قــولــه : ((لا يؤمن أحدكم حتى يكون هوه تبعاً لما جئت به))
قلت : أخرج الحديث عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم البغوي في شرح السنة [2]. والخطيب في التاريخ[3] وابن أبي عاصم في السنة[4]. وغيرهم لكنه ضعيف لأن مداره على نعيم بن حماد قال فيه الحافظ ابن رجب بعد تخريجه : " قلت : تصحيح هذا الحديث بعيد جداً من وجوه منها :
أنه حديث ينفرد به نعيم بن حماد المروزي ونعيم هذا وإن كان وثقه جماعة من الأئمة وخرج له البخاري فإن أئمة الحديث كانوا يحسنون به الظن لصلابته في السنَّة وتشدده في الرد على أهل الأهواء وكانوا ينسبونه إلى أنه يتهم ويشبه عليه في بعض الأحاديث فلما كثر عثورهم على مناكيره حكموا عليه بالضعف . إلى أن قال : وأما معنى الحديث من الأوامر والنواهي وغيرها فيحب ما أمر به ويكره ما نهى عنه وقد ورد القرآن بمثل هذا في غير موضع قال تعالى :{ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما } .
وقال تعالى : { وما كان لمؤمن ولا مؤمنه إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون له الخيرة من أمرهم }. وذم سبحانه وتعالى من كره ما أحبه الله وأحب ما كرهه الله قال الله تعالى :{ ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم }.
وقال تعالى :{ ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم }.
فالواجب على كل مؤمن أن يحب ما أحبه الله محبة توجب له الإتيان بما وجب عليه منه فإن زادت المحبة حتى أتى بما ندب إليه منه كان ذلك فضلاً وأن يكره ما كره الله تعالى كراهة توجب له الكف عما حرم الله عليه منه فإن زادت الكراهه حتى أوجبت الكف عما كرهه تنزهاً كان ذلك فضلاً وقد ثبت في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده وأهله والناس أجمعين) فلا يكون المؤمن مؤمناً حتى يقدم محبة الرسول على محبة جميع الخلق ، ومحبة الرسول تابعة لمحبة مرسله ، المحبة الصحيحة تقتضي المتابعة والموافقة في حب المحبوبات وبغض المكروهات " أهـ[5]
قلت : ويبدو لي والعلم عند الله أن المصنف رحمه الله أستشهد بالحديث لصحة معناه كما ذكر الحافظ ابن رجب مدعماً بالأدلة.



[[الشرط السابع :القبول المنافي للرد .

ودليل القبول : قوله تعالى : { وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون * قال أولو جئتكم بأهدى

2) شرح السنَّة للبغوي 1/ 213.
3) تاريخ بغداد للخطيب 4/ 369.
4) السنَّة لأبن أبي عاصم 1/ 12.
5) جامع العلوم والحكم (364) .

مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون * فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين } [1].

وقوله تعالى : { إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون}[2].

ومن السنَّة ما ثبت عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع بها الله الناسَ فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ؛ فذلك مَثَل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعَلِمَ وعَلّم ، ومَثَل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به[3] [[.

قـولـه : ((وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها ....)) الآيات

يخبر جل ثناءه أن صنيع قريش ومن خولهم في ردهم دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وإعراضهم عن ما جاء به من الحق هو شبيه بصنيع الأمم السالفة مع أنبيائهم والباعث لهؤلاء وأولئك هو التقليد للأشخاص والنحل .

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي – رحمه الله –: " { وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها } أي منعموها وملؤها الذين أطغتهم الدنيا وغرتهم الأموال واستكبروا على الحق { إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون } أي فهؤلاء ليسوا ببدع منهم وليس بأول من قال بهذه المقالة ، وهذا الاحتجاج من هؤلاء المشركين الضالين بتقليدهم لآبائهم الضالين ليس المقصود به إتباع الحق والهدى وإنما هو تعصب محض ، يراد به الشبهة الباطلة { أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم } أي أفتتبعوني لأجل الهدى { قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون } يعلم بهذا أنهم ما أرادوا اتباع الحق والهدى وإنما قصدهم إتباع الباطل والهوى { فانظر كيف كان عاقبة المكذبين } فليحذر هؤلاء أن يستمروا على تكذيبهم فيصيبهم ما أصابهم ". أهـ[1].

مـا تفيده الآيات :

أولا : تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم وتسليته وأنه ليس بدعا من المردود أقوالهم كما أن قومه ليسوا بدعا من المكذبين .

ثانياً : التحذير ممن مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم .

---

1) سورة الزخرف آيـ 23 ـة .
2) سورة الصافات آيـ 35 ـة .
3) البخاري كتاب العلم باب فضل من عَلِمَ وعَلـَمَ .
1) تفسير ابن سعـدي 4/ 442.

ثالثاً : خطر التقليد وأنه من أعظم الصوارف عن قبول الحق والهدى ومما يدل على ذلك ما في الصحيحين عن سعيد بن المسيّب عن أبيه لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل وعبد الله ابن أبي أمية أبن المغيرة فقال : (أي عم قل لا إله إلا الله كلمة حاجُ لك بها عند الله) ، فقال أبو جهل وعبد الله ابن أبي أمية : أترغب عن ملة عبد المطلب فلن يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعيدانه بتلك المقالة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك) فأنزل الله { ما كان للنبي والذين أمنوا أن يستغفروا للمشركين } فأنزل الله في أبي طالب { أنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء } [2].

قال المصنف في مسائله : المسألة الثامنة [3]: مضرة أصحاب السوء على الإنسان .
المسألة التاسعة : مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر.

فانظر هدانا الله وأياك كيف أثر أبو طالب دين آبائه وأجداده وأبا أن يشهد شهادة الحق { إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد } إياك أيها المسلم والتعصب الأحمق والتقليد الأعمى .
قـولــه: ((إنـهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله ....)) الآية
قال الشيخ عبد الرحمن السعدي : " { أنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله } فدعوا إليها وأمروا بترك إلاهية ما سواه { يستكبرون } عنها وعلى من جاء بها { ويقولون } معارضةً لها { أإنا لتاركوا آلهتنا } التي لم نزل نعبدها نحن وآباؤنا { لقول شاعر مجنون } يعنون محمداً صلى الله عليه وسلم فلم يكفهم قبّحهم الله الإعراض عنه ولا مجرد تكذيبه حتى حكموا عليه بأظلم الأحكام وجعلوه شاعراً مجنوناً وهم يعلمون أنه لا يعرف الشعر والشعراء ولا وصفة وصفهم وأنه أعقل خلق الله وأعظمهم رأيا "[4].أهـ
قلت : وهذا الصنيع من المشركين الإعراض والترك كما أنه أقبح الأساليب في الصد عن سبيل الله ولهذا كذبهم الحق جل علاه ونقض قولهم ودحض فريتهم في الآية بعدها { بل جاء بالحق وصدق المرسلين } .
قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله - : " قال الله تعالى تكذيباً لهم ورداً عليهم { بل جاء بالحق } يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق في جميع شرعة الله تعالى له من الأخبار والطلب { وصدق المرسلين } أي صدقهم فيما أخبروا عنه من الصفات الحميدة والمناهج السديدة وأخبر عن الله تعالى في شرعه وأمره كما أخبروا { ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك } الآية" [5] . أهـ

قـولــه : ((ومن السنـَّة ما ثبت عن ابي موسى ....)) الخ
قلت : أخرجه الشيخان وهذا لفظ البخاري [1].

قـولــه : ((مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم .....)) الخ
قلت : ووجه استدلال المصنف به يظهر من قوله صلى الله عليه وسلم : (فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فَعَلِمَ وعَلّم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به).

---

2) البخاري كتاب التفسير باب { أنك لا تهدي من أحببت ... الآية } .
3) مسلم كتاب التوحيد .
4) تفسير ابن سعدي 4/ 256.
5) تفسير ابن كثير 4/ 7.
4) سبق تخريجه .

قال النووي رحمه الله : " أما معاني الحديث ومقصوده فهو تمثيل الهدى الذي جاء به صلى الله عليه وسلم بالغيث ومعناه : أن الأرض ثلاثة أنوع وكذلك الناس :

فالنوع الأول: من الأرض ينتفع بالمطر فيحيى بعد أن كان ميتاً وينبت الكلأ فينتفع بها الناس والدواب والزرع وغيره.

وكذا النوع الأول من الناس يبلغه الهدى والعلم فيحفظه فيحيا قلبه ويعمل به ويعلمه غيره فينتفع وينفع.

والنوع الثاني : من الأرض ما لا تقبل الإنتفاع في نفسها لكن فيها فائدة وهي إمساك الماء لغيرها فينتفع بها الناس والدواب .

وكذا النوع الثاني من الناس لهم قلوب حافظة لكن ليست لهم أفهام ثاقبة ولا رسوخ لهم في العقل يستنبطون به المعاني والأحكام وليس عندهم إجتهاد في الطاعة والعمل به فهم يحفظونه حتى يأتي طالب محتاج متعطش لما عندهم من العلم أهلٌ للنفع والانتفاع فيأخذه منهم فينتفع به فهؤلاء نفعوا بما بلغهم .

والنوع الثالث : من الأرض السباخ التي لا تنبت ونحوها فهي لا تنتفع بالماء ولا تمسكه لينتفع بها غيرها .

وكذا النوع الثالث من الناس ليست لهم قلوب حافظة ولا أفهام واعية فإذا سمعوا العلم لا ينتفعوا به ولا يحفظونه لنفع غيرهم . والله أعلم .

وفي هذا الحديث أنواع من العلم منها :

1- ضرب الأمثال .
2- ومنها فضل العلم والتعليم .
3- وشدة الحث عليها .
4- وذم الأعراض عن العلم ". انتهى [2]. والله أعلم .

هذا ما يسر الله جمعه وتحريره من الشرح المختصر على أدلة شروط لا إله إلا الله وقد تم الفراغ منه ليلة الخميس المصادف للحادي والعشرين من ربيع الثاني لعام أربعة عشر وأربعمائة وألف ، وكان بالمدينة النبوية والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

تم بحمد الله

1) مسلم بشرح النووي 15 / 47.